Comprehensive Journal of Science
Volume (11), Issue (41), (JUNE, 2026)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (11) ملحق العدد 41 يونيو 2026
ردمد: 3014-6266

الأسلوب الزمني الحجاجي في سورة يس

علي محمد عيسى عبد الرحيم الشاظوف.

أستاذ مشارك/ قسم الأدبيات كلية اللغة العربية بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية/ البيضاء/ ليبيا

alialshaithof68@gmail.com

رحاب محمد عيسى عبد الرحيم الشاظوف.

أستاذ مشارك/ قسم الأدبيات كلية اللغة العربية بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية/ البيضاء/ ليبيا

Reehab87@gmail.com

The Argumentative Temporal Style in Surah Ya-Sin

Dr. Ali Muhammad Issa Abdul Rahim Al-Shathof

Associate Professor, Department of Literature, Faculty of Arabic Language, Sayyid Muhammad bin Ali Al-Sanusi Islamic University, Al-Bayda, Libya

Dr. Reehab Muhammad Issa Abdul Rahim Al-Shathof

Associate Professor, Department of Literature, Faculty of Arabic Language, Sayyid Muhammad bin Ali Al-Sanusi Islamic University, Al-Bayda, Libya

تاريخ الاستلام:2026/05/16 -تاريخ المراجعة:2026/06/18- تاريخ القبول: 2026/06/28- تاريخ للنشر: 2026 /07/17

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث موضوع "**الأسلوب الزمني الحجاجي في سورة يس**"، وتبرز أهميته في الكشف عن الإعجاز القرآني، الذي يحول الزمن من ظرفٍ عابرٍ إلى بنيةٍ استدلاليةٍ حجاجية فاعلةٍ تقهر جحود الكافرين، ويهدف البحث إلى تتبع آليات توظيف الأبعاد الزمنية، وتحليل أثرها الإقناعي في إثبات قضية البعث، والنشور، وقد انتظم في تمهيدٍ نظريّ، ومبحثين رئيسين عالجا توظيف الأزمنة الخطية المفردة، و الأزمنة الهندسية المركبة، وخلصت الدراسة إلى نتائج بارزةٍ أهمها أن الخطاب القرآني أعاد هندسة الزمن؛ ليصنع حصارًا إدراكيًّا محكمًا يفكك المنهجية المادية للكافر، ويثبت الإحاطة الإلهية المطلقة بالبدايات، والنهايات.

الكلمات المفتاحية:

الإعجاز القرآني، عقيدة البعث، البنية الاستدلالية، الحصار الإدراكي، المنهجية المادية.

Abstract:

This research explores the concept of the "Argumentative Temporal Style in Surah Yaseen." Its significance lies in unveiling the Quranic inimitability (I'jaz), which transcends the conventional perception of time as a mere transient vessel, transforming it into an active, inferential, and argumentative structure capable of overcoming the obstinacy of deniers. The study aims to trace the mechanisms of employing temporal dimensions and to analyze their persuasive impact in substantiating the doctrine of Resurrection. The research is structured into a theoretical prelude and two main sections: the first addresses the employment of

singular linear temporalities, while the second examines complex temporal architectures. The study concludes with profound findings, most notably that the Quranic discourse re-engineers time to construct an impenetrable cognitive siege. This siege systematically dismantles the materialistic paradigm of the disbeliever, ultimately demonstrating the absolute Divine encompassment of all beginnings and ends.

Keywords: Quranic Inimitability, Doctrine of Resurrection, Inferential Structure, Cognitive Siege, Materialistic Paradigm.

مقدمة:

ينبثق الخطاب القرآني في بنيته العميقة من رؤيةٍ إعجازيةٍ تتجاوز حدود المألوف البشري؛ حيث تتضافر آلياته اللغوية، والبلاغية؛ لتشكيل نسقٍ إقناعيٍّ فريدٍ يستهدف العقل، والوجدان معًا؛ ولعل من أبرز تجليات هذا الإعجاز قدرة النص القرآني على تطويع المجردات، وتحويلها إلى أدواتٍ فاعلةٍ في مسار المواجهة الفكرية مع الجحود، والكفر الإنساني، وفي قلب هذه المجردات يقف الزمن ذلك اللغز الوجودي، الذي طالما أرق الفكر البشري؛ ليتحول في القرآن الكريم من مجرد وعاءٍ سلبيٍّ تجري فيه الأحداث إلى سلاحٍ حجاجيٍّ ماضٍ يفكك البنى المعرفية الزائفة، ويؤسس ليقينٍ عقديٍّ راسخٍ.

وتتجلى هذه العبقرية الحجاجية بأبهى صورها في سورة يس، التي تُعد قلب القرآن، وقد تمحورت في مقاصدها الكبرى حول قضيتين أساسيتين هما: إثبات الوحي، وإثبات البعث، والنشور بعد الفناء، ولما كان الخصم الكافر، والجاحد يتحجج بعامل الزمن، ويتخذ من تطاوله، وانقضائه ذريعةً لادعاء استحالة الإحياء بعد الموت، واجه القرآن الكريم هؤلاء الكافرين، والمكذبين بأسلوبٍ زمنيٍّ حجاجيٍّ معجزٍ؛ حيث جعلت السورة من الزمن ساحةً للمحاكمة، فحاصرت الكافر الخصيم المبين بماضيه التكويني، والتاريخي، وأقامت عليه الحجة بحاضره الكوني، ثم باغتته بمستقبله الصاعق؛ لتثبت أن العقل المادي المبتور زمنيًّا لا يمكنه أن يدرك حقيقة الخالق المحيط بالبدايات، والنهايات.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يطرق بابًا دقيقًا، وعميقًا من أبواب الإعجاز القرآني، وهو "الإعجاز الحجاجي الزمني" متجاوزًا النظرة التقليدية للزمن بوصفه ظرفًا للأحداث؛ ليعرضه بوصفه بنيةً استدلاليةً فاعلةً، كما تبرز الأهمية في تسليط الضوء على سورة يس من زاويةٍ تداوليةٍ، وحجاجيةٍ تكشف عن أسرار التماسك النصي، وقوة الإلزام العقلي فيها، وهذا يقدم إضافةً نوعيةً للدراسات البلاغية، والتفسيرية التي تُعنى بآليات الإقناع في النص القرآني.

أسباب اختيار الموضوع

لقد تضافرت عدة أسبابٍ ذاتيةٍ وموضوعيةٍ لاختيار هذا الموضوع، من أبرزها:

1- الرغبة الملحة في الكشف عن الأسرار البلاغية، والمنطقية الكامنة في توظيف الزمن في القرآن الكريم.

2- الكثافة الحجاجية العالية في سورة يس، وتنوع أساليبها في دمج الأزمنة (الماضي، الحاضر، المستقبل)؛ للتدليل على قضية البعث.

3- الحاجة الماسة إلى إثراء المكتبة القرآنية بدراساتٍ تطبيقيةٍ تجمع بين النظريات الحجاجية، والتحليل البلاغي الأصيل بعيدًا عن التفسير السردي المجرد.

فرضيات البحث

ينطلق هذا البحث من عدة فرضياتٍ علميةٍ يسعى لإثباتها، وهي:

1- يفترض البحث أن الزمن في سورة يس ليس عنصرًا سرديًّا محايدًا، بل هو أداةٌ حجاجيةٌ مقصودةٌ، وموجهةٌ لإقناع المنكرين.
2- يفترض البحث أن الانزياح الزمني (كالتعبير بالماضي عن المستقبل) يمثل استراتيجيةً إقناعيةً تهدف إلى سلب المخاطب وهم التسويف، وإلزامه بالحجة.
3- يفترض البحث وجود تلازمٍ عضويّ بين البعد الزمني، والبعد المادي (التداخل الزمني المادي) في خواتيم السورة؛ لكسر المنهجية المادية للخصم.

إشكالية الدراسة:

تتمحور إشكالية هذه الدراسة حول التساؤل الرئيس الآتي: كيف وظف الخطاب القرآني في سورة يس الأبعاد الزمنية (الماضي، الحاضر، المستقبل) لبناء نسقٍ حجاجيّ ملزمٍ يفكك شبهات المنكرين للبعث؟.

وتتفرع من هذه الإشكالية تساؤلاتٌ عدةٌ:

1/ كيف تحول الزمن الماضي (التكويني، والتاريخي) إلى مقدمةٍ استدلاليةٍ ملزمةٍ؟

2/ ما الدور الحجاجي الذي أداه الزمن الحاضر عبر استنطاق الظواهر الكونية؟

3/ كيف أسهم استحضار الزمن المستقبل في تحقيق حجة الترهيب، والإلزام الغيبي؟

منهج البحث:

اقتضت طبيعة هذه الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي المطعّم بآليات المنهج الحجاجي؛ حيث يقوم البحث بوصف الظواهر الزمنية في السورة، ثم تحليلها بلاغيًّا ودلاليًّا، وبيان وظيفتها الحجاجية، والإقناعية في سياق الآيات معتمدًا على استنطاق النص القرآني، وربط أجزائه ببعضها لاستخراج الدلالات العميقة.

سابعًا: أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- رصد الآيات التي تضمنت توظيفًا زمنيًّا في سورة يس وتصنيفها حجاجيًّا.
2- بيان أثر التداخل الزمني، والانزياح الدلالي للأفعال في قوة الإقناع القرآني.
3- إبراز التناسق الموضوعي في سورة يس من خلال تتبع أسلوب الخيط الزمني الناظم لحججها.

الدراسات السابقة

حظي موضوع الحجاج، والزمن باهتمام الباحثين، غير أن الدراسات غالبًا ما تناولتهما بشكلٍ منفصلٍ، ومن أبرز هذه الدراسات:

1- دراسة (الحجاج في القرآن الكريم: من خلال أهم خصائصه الأسلوبية) للدكتور عبد الله صولة: وقد قعدت للأسلوب الحجاجي عامةً، واستفاد منها البحث في ضبط المفاهيم النظرية.
2- دراسة (الزمن في القرآن الكريم: دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه) للدكتور بكري عبد الكريم، وتناولت الزمن من زاويةٍ دلاليةٍ، ونحويةٍ، وتتميز دراستنا الحالية عن سابقاتها بكونها دراسةً تطبيقيةً متخصصةً تدمج بين الزمن، والحجاج في حيزٍ نصيّ محددٍ وهو (سورة يس)؛ لتخرج بنتائج دقيقةٍ حول هندسة الأسلوب الزمني الحجاجي.

حدود البحث

الحدود الموضوعية: تقتصر الدراسة على تتبع "الأسلوب الزمني الحجاجي" وتحليل آلياته الإقناعية، دون التطرق للقضايا الفقهية، أو النحوية المحضة.

الحدود النصية: يقتصر التطبيق على آيات سورة يس حصرًا؛ نظرًا لكثافتها الحجاجية، وتمركزها حول قضية البعث.

خطة البحث

بناءً على طبيعة الموضوع، وإشكاليته، انتظمت هذه الدراسة في مقدمةٍ، وثلاثة مباحث رئيسةٍ، وخاتمةٍ، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتتضمن الإطار المنهجي للدراسة (التمهيد، والأهمية، والأسباب، والفرضيات، والإشكالية، والمنهج، والأهداف، والدراسات السابقة، والحدود، والخطة).

المبحث الأول: توظيف الأزمنة الخطية المفردة في الحجاج القرآني. وينتظم في ثلاثة محاور:

أولًا: توظيف الزمن الماضي (الماضي التكويني، والماضي التاريخي).

ثانيًا: توظيف الزمن الحاضر (حجة المشاهدة، والبرهان الكوني).

ثالثًا: توظيف الزمن المستقبل (حجة الترهيب، واستحضار الغيب).

المبحث الثاني: الهندسة الزمنية المركبة في الحجاج القرآني، وينتظم في محورين:

أولًا: التناوب الزمني في مشاهد القيامة (الانزياح الحجاجي المزدوج).

ثانيًا: التداخل الزمني المادي (ذروة الحجاج الزمني الشامل).

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

تمهيد: هندسة الإقناع، وتقاطع الأسلوب الحجاجي مع البعد الزمني:

يتأسس البناء البلاغي في القرآن الكريم على غايةٍ تداوليةٍ كبرى تتجاوز مجرد الإخبار السردي إلى التأثير، والإقناع، وتغيير القناعات، وفي هذا المضمار لا يعتمد النص القرآني على الجدل الفلسفي المجرد، بل يبتكر آلياتٍ أسلوبيةً تحاصر العقل، وتستدرج الوجدان؛ إذ يقرر أن الحجاج القرآني يشتغل على تكسير المسلمات الخاطئة لدى المتلقي، وإعادة بناء قناعاته عبر شبكةٍ من الخصائص الأسلوبية، التي تجعل من اللغة ذاتها قوةً إنجازيةً، وإقناعيةً، فالقرآن يحول التراكيب، والانزياحات الدلالية إلى خطواتٍ متدرجةٍ نحو الإلزام، والإفحام.(صولة، 2001م).

وإذا كان الحجاج هو الأداة، فإن الزمن يمثل إحدى أعقد الساحات، التي تُمارس فيها هذه العملية الإقناعية، فالزمن في النسق القرآني ينسلخ من كونه مجرد وعاءٍ ماديٍّ، أو خطٍّ رياضيٍّ صارمٍ (ماضٍ، حاضرٌ، مستقبلٌ) كما ألفه النحاة، والمنطقيون؛ ليغدو كائنًا دلاليًّا مرنًا؛ إذ تتجاوز الأفعال القرآنية زمنها النحوي؛ لتؤدي وظائف حجاجيةً أعمق كالتعبير عن المستقبل الغيبي بالفعل الماضي؛ لإفادة حتمية الوقوع، أو استحضار الماضي بصيغة المضارع لاستدامة العبرة، فهذا الاستخدام المختلف لزمن الأفعال يهدف إلى تحرير العقل البشري من سجن اللحظة الراهنة، وربطه بالامتداد المطلق للقدرة الإلهية.(عبد الكريم، 2000م).

ومن رحم هذا التلاحم العضوي بين الغاية الحجاجية، والمرونة الزمنية ينبثق مصطلح الأسلوب الزمني الحجاجي، الذي يمثل هندسةً مركبةً يعمد فيها الخطاب القرآني إلى توظيف الأبعاد الزمنية الثلاثة بوصفها مقدماتٍ منطقيةً، وبراهين إلزاميةً في معركته ضد التكذيب، فالماضي يُستدعى؛ ليغدو حجةً تكوينيةً، وتاريخيةً تكسر غرور الإنسان ببيان بدايته العدمية، ومآل الأمم الغابرة، والحاضر يُستنطق؛ ليتحول إلى حجةٍ كونيةٍ مشاهدةٍ تبرهن على ديمومة القيومية الإلهية عبر الظواهر المتجددة، وأما المستقبل، فيُختطف من غياهب الغيب؛ ليُطرح بوصفه حجةً ترهيبيةً استباقيةً تسلب الإنسان وهم التسويف، وتضعه وجهًا لوجهٍ أمام مصيره المحتوم.

وتُعد سورة يس ميدانًا تطبيقيًّا خصبًا تتجلى فيه عبقرية هذا الأسلوب بأبهى صورها؛ إذ تواجه السورة كفر الإنسان، وجحوده بالله تعالى—والذي يتجلى في أبرز صوره بإنكار البعث نتيجة قصورٍ إدراكيٍّ يحبسه في حاضره المادي—بإعادة صياغة وعيه الزمني، فقد وظفت السورة الزمن ليكون محكمةً متكاملةً، فحاصرت الكافر الجاحد بماضيه، وأقامت عليه

الحجة بحاضره، وباغتته بمستقبله وصولًا إلى ذروة الإعجاز بدمج الأزمنة كلها في دليل مادي واحدٍ؛ لتبرهن على أن العقل المبتور زمنيًّا يعجز عن إدراك الخالق المحيط بالبدايات، والنهايات، وبهذا التأصيل النظري تتضح المعالم المنهجية، التي ستنطلق منها المباحث التطبيقية الآتية لتفكيك هذه البنية الحجاجية المعجزة.

المبحث الأول: توظيف الأزمنة الخطية المفردة في الحجاج القرآني:

يتأسس المسار الحجاجي في سورة يس في مراحله الأولى على مخاطبة العقل البشري وفق إدراكه المألوف للوجود، وهو الإدراك الخطي الذي يقسم الزمن إلى محطاتٍ متعاقبةٍ: ماضٍ انقضى، وحاضرٍ معاشٍ، ومستقبلٍ منتظرٍ، غير أن الخطاب القرآني لا يقف عند حدود هذا التقسيم المادي المجرد، بل يعمد إلى استثمار كل محطةٍ زمنيةٍ على حدةٍ، محولًا إياها من ظرفٍ سلبيٍّ إلى قوةٍ إقناعيةٍ فاعلةٍ، وبرهانٍ استدلاليٍّ مستقلٍ، ففي هذا النسق الخطي يُنتزع الماضي من سكونه؛ ليغدو مرآةً تعكس البدايات التكوينية، والسنن التاريخية الصارمة، التي لا تحابي أحدًا، ويُستنطق الحاضر بديمومته؛ ليصبح مختبرًا كونيًّا مفتوحًا يعرض أدلة القدرة الإلهية الشاخصة أمام الأعين في كل لحظةٍ، بينما يُستدعى المستقبل من غياهب الغيب؛ ليتحول إلى سوطٍ ترهيبيٍّ يوقظ الفطرة، ويكسر وهم التسويف لدى المكذبين.

إن هذا التوظيف المفرد لكل زمنٍ يمثل استراتيجيةً تدرجيةً محكمةً، تأخذ بيد المتلقي خطوةً بخطوةٍ، وتفكك شبهات الكافرين في كل مرحلةٍ زمنيةٍ يعتمدون عليها؛ لتؤسس يقينًا عقديًّا راسخًا يمهد الطريق لاستيعاب الهندسة الزمنية المركبة، التي ستتوج بها السورة مسارها الإقناعي.

وقد انتظم هذا المبحث في ثلاث نقاطٍ رئيسةٍ، تتناول كل نقطةٍ منها توظيفًا لزمنٍ خطيٍّ مفردٍ، وذلك على النحو الآتي:

أولًا: توظيف الزمن الماضي (الماضي التكويني، والماضي التاريخي):

يُعدُّ استدعاء الزمن الماضي في النسق القرآني استراتيجيةً حجاجيةً بالغة الأثر؛ إذ لا يُساق بوصفه سردًا لأحداثٍ منقضيةٍ، بل يُنتزع من سكونه؛ ليغدو برهانًا ناطقًا يحاكم حاضر الكافرين، ويؤسس ليقينهم بالمستقبل، فهذا التوظيف يحول الذاكرة إلى مختبرٍ استدلاليٍّ صارمٍ يكسر كبرياء الجاحدين، ويجردهم من وهم الاستغناء، عبر وضعهم وجهًا لوجهٍ أمام حقائق لا يملكون دفعها، وقد تجلى هذا الأسلوب الإقناعي في سورة يس عبر مسارين متكاملين يختص الأول بالماضي التكويني، الذي يستدل بالنشأة الأولى للإنسان، بينما ينصرف الثاني إلى الماضي التاريخي، الذي يستحضر مصارع الأمم الغابرة؛ ليكون حجةً اعتباريةً ملزمةً.

أ/ الاستدلال بالخلق الأول (الماضي التكويني):

يقف العقل البشري في كثيرٍ من الأحيان أسيرًا للحظته الراهنة، فيقيس عليها الممكن، والمستحيل، ويحاكم الغيب المطلق بأدوات واقعه المحدود، وفي خضم هذا الانغماس في الحاضر يُصاب الإنسان بآفة النسيان الوجودي؛ حيث يغفل عن بداياته الأولى، وأطوار نشأته؛ ليتضخم لديه شعورٌ زائفٌ بالاستقلالية، والقدرة، فهذا الانقطاع المعرفي عن الماضي يجعله يستبعد فكرة البعث ظانًّا أن فناء الجسد، وتحلله في حاضره يعني بالضرورة استحالة إعادته في مستقبله.

وهنا يتدخل الخطاب القرآني بأسلوبه الحجاجي المعجز، لا ليقدم نظرياتٍ فلسفيةً مجردةً، بل ليعيد صياغة وعي الإنسان بالزمن، فيعتمد القرآن استراتيجيةً حجاجيةً صارمةً تقوم على استدعاء الماضي، وجعله شاهدًا إلزاميًّا على المستقبل، فالزمن الماضي في هذا النسق ليس مجرد حقبةٍ انقضت، وانتهت، بل هو مستودعٌ للأدلة، والبراهين، التي يحملها الإنسان في تكوينه الذاتي، ومن خلال ربط البداية بالنهاية يكسر القرآن طوق الحاضر، الذي يسجن العقل المادي، ويضعه أمام حقيقةٍ لا تقبل الدحض.

وتتجلى هذه الاستراتيجية في أبهى صورها من خلال حجة النشأة الأولى؛ حيث يُساق الاستدلال بالخلق الأول على إمكانية البعث وفق قاعدة قياس الأولى المنطقية، ففي سورة يس يتجسد هذا الحجاج الزمني في مشهدٍ بالغ الدقة يصور

التناقض الصارخ بين ماضي الإنسان الكافر المهين، وحاضره المتغطرس، الذي طغى فيه وتكبر؛ ليكون هذا التناقض ذاته هو الدليل القاطع على مستقبله المحتوم، وذلك حين ينقلنا النص القرآني إلى تلك المواجهة الحاسمة؛ لتعرية جحود الكافرين، والرد على إنكارهم للبعث بأدلةٍ دامغةٍ تبين عجزهم المطلق، وتفضح كفرهم في قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (77)**﴾ (يس: الآية، 77)، تنطوي هذه الآية الكريمة على بنيةٍ لغويةٍ، وحجاجيةٍ بالغة الدقة تعمل على محاصرة عقل الكافر الجاحد، وإلزامه بالحجة، فتبدأ الآية باستفهامٍ إنكاريٍّ مقترنٍ بحرف النفي (أَوَلَمْ يَرَ)؛ ليفيد التوبيخ، والتعجب في آنٍ واحدٍ من تمادي هذا الخصم في كفره، وتكبره، والرؤية هنا ليست بصريةً فحسب، بل هي رؤيةٌ عقليةٌ استدلاليةٌ تُطالب المكذب بأن يُعمل فكره في حقيقةٍ تكوينيةٍ يعرفها، ولا يملك إنكارها، وبذلك يفتح هذا الاستفهام بابًا زمنيًّا إلزاميًّا يُجبر الكافر المعاند على الرجوع إلى الوراء، وإلى نقطة الصفر من وجوده، قبل أن يتجرأ بتغطرسه على الجدال في قضية البعث.

ويأتي توظيف الفعل الماضي (خَلَقْنَاهُ) مسندًا إلى ضمير العظمة؛ ليُرسّخ حقيقةً زمنيةً ثابتةً لا تقبل النقض، فهذا الفعل يمثل الدليل المادي، الذي يحمله الإنسان في ذاته وجسده، والإسناد إلى الخالق العظيم يجعل الاستدلال أشد إلزامًا، ثم يحدث التحول المفاجئ باستخدام فاء المفاجأة في قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (77)**﴾ (يس: الآية، 77)، وهي من أبلغ الأدوات الزمنية التي تدل على الانتقال السريع غير المتوقع، ويصنع هذا التحول تناقضًا زمنيًّا صارخًا، ففي الماضي كان الإنسان نطفةً مهينةً، وفجأةً في الحاضر صار خصيمًا مبينًا، وتكمن الحجة في هذه الفجوة الهائلة، فكيف لمن كان أصله عدمًا أن يُقابل نعمة الإيجاد بالخصومة، ويُنكر قدرة من أوجده على إعادته؟.

كما تشتغل هذه الآية على قاعدة "قياس الأولى" المنطقية مبنيةً على تسلسلٍ زمنيٍّ محكمٍ، ولفهم عمق هذه الحجة لا بد من إضاءة مفهوم "قياس الأولى" من ناحيةٍ فلسفيةٍ، ومنطقيةٍ، ففي الفلسفة الإسلامية لا يُعد هذا القياس مجرد تدرجٍ شكليٍّ من العام إلى الخاص كما في المنطق الأرسطي، بل هو منطقٌ وجوديٌّ يؤسس لتراتبية الإمكان، والاستحالة، فالقرآن الكريم استبدل القياس الشمولي العقيم بـ"قياس الأولى" بوصفه حجةً يقينيةً قاطعةً؛ لأنه يربط العقل مباشرةً بمبدأ القدرة المطلقة، ففلسفيًّا إذا كان الفاعل المطلق قادرًا على إحداث "الأصعب وجوديًّا" (وهو الإيجاد من العدم المحض)، فإن إحداث "الأسهل وجوديًّا" (وهو إعادة تشكيل المادة المتفرقة) يكون متحققًا من باب أولى، وأحرى، فهذا القياس يكسر المنهج التجريبي المادي للخصم؛ لأنه يجبر العقل على الانتقال من الاعتراف بالبداية المعقدة إلى التسليم بالنهاية الأكثر سهولة.(النشار، 1984م).

وبناءً على هذا التأصيل الفلسفي نجد أن المرحلة الأولى في الآية تثبت الحقيقة الماضية، وهي الإيجاد من العدم المطلق، وهو الأصعب في ميزان العقل، ثم تنتقل الحجة إلى المستقبل؛ لتقرر أن إعادة التكوين (البعث) أيسر منطقيًّا من الإيجاد الأول؛ لأن المادة قد سبق أن خضعت للتشكيل الإلهي، فمن أوجد من عدمٍ في الماضي هو أقدر على الإعادة في المستقبل، وبهذا التسلسل يُغلق القرآن كل منافذ الجدال، ويجعل إنكار البعث تناقضًا صريحًا مع حقيقةٍ يعترف بها الإنسان.

وأبلغ ما في هذه الحجة أنها تجعل الإنسان شاهدًا على نفسه، وخصمًا لذاته، فالتناقض الزمني بين "النطفة"، و"الخصيم" يُنتج إدانةً ذاتيةً لا تستدعي دليلًا خارجيًّا، فالخصومة التي يمارسها الإنسان الكافر في حاضره هي ذاتها دليلٌ على قدرة الله في ماضيه؛ إذ إن العقل الذي يُجادل، واللسان الذي يُخاصم هما من نتاج الخلق الأول، ولا تقتصر هذه الحجة على الإقناع العقلي، بل تمتد لتُحدث أثرًا وجدانيًّا عميقًا، فاستحضار لحظة الخلق الأولى يُولّد شعورًا بالصغر أمام عظمة الخالق، ويُوجد قلقًا وجوديًّا إيجابيًّا يدفع الإنسان للتخلي عن خصومته العقيمة؛ ليدرك أن الإذعان للحق هو الموقف العقلي الوحيد، الذي يتسق مع حقيقة وجوده.

واستكمالًا لمحاكمة هذا الكافر (الخصيم المبين)، لم يكتفِ الخطاب القرآني بتقرير مبدأ هذه الخصومة الجاحدة، بل انتقل مباشرةً ليصور مشهدًا حيًّا يجسد هذا الجحود مبيّنًا كيف يمارس الإنسان خصومته متكئًا على فهمٍ مبتورٍ للزمن،

وبهذا الانتقال المذهل من التقرير إلى التصوير تمثل خواتيم سورة يس، وتحديدًا في قوله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79)**﴾ (يس، الآيات: 78– 79)، ذروة السنام في الأسلوب الحجاجي الزمني، فهنا لا يقدم القرآن الكريم مجرد إخبارٍ غيبيّ عن البعث، بل يعرض مشهدًا حجاجيًّا متكاملًا تتصادم فيه رؤية الإنسان القاصرة للزمن مع الرؤية الإلهية المحيطة به.

كما يبدأ هذا المشهد برصد حال الجحود الإنساني من خلال كثافةٍ مقصودةٍ في توظيف الأفعال، والأزمنة لخلق مفارقةٍ بلاغيةٍ حادةٍ، فقد صُدّرت الآية بفعلين ماضيين (ضَرَبَ، نَسِيَ)؛ ليقرر النص أن الإنسان قام بفعلٍ حاضرٍ في ظاهره، وهو ضـــرب المثل بالعظم البالي، لكنه في حقيقته لم يُبنَ على علمٍ، بل بُني على نســـيانٍ لحدثٍ ماضٍ أهم، وهو (خَلْقَهُ)، لقد اعتمد الإنسـان الكافر في حجاجه على اقتطاع اللحظة الحاضـرة، فنظر إلى العظم في حاله الراهنة، وصـاغ شـبهته بجملةٍ اسـميةٍ تفيد الثبات، والجمود في قوله تعالى: ﴿**وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾، وقاس عليها المسـتقبل مسـتخدمًا الاسـتفهام الإنكاري ﴿ **مَن يُحْيِي**﴾، ومشكلة هذا الاستدلال أنه مبتورٌ زمنيًّا؛ لأنه أسقط الماضي من معادلته، واكتفى بحاضرٍ ساكنٍ؛ لينكر مستقبلًا غيبيًّا.

وفي مواجهة هذه المغالطة، لم يكتفِ القرآن بنقض الشبهة، بل هدم منهجية الخصم في التفكير من أساسها، حين جاء الرد الإلهي بكلمة (قُلْ)؛ ليؤسـس لحجةٍ تلقينيةٍ حاسـمةٍ تعيد ربط السـلسـلة الزمنية، التي بترها الإنسـان، فلكي تحكم على المستقبل لا يجوز أن تنظر إلى الحاضر فحسب، بل يجب أن تستدعي الماضي، وهنا يتجلى تطبيق "قياس الأولى" زمنيًّا؛ إذ استخدم النص الفعل المضارع (يُحْيِيهَا)؛ لإثبات المستقبل، وربطه فورًا بالفعل الماضي (أَنشَأَهَا)، مع التأكيد على نقطة البداية الزمنية (أَوَّلَ مَرَّةٍ)، فالحجة المنطقية تقتضـي أن الذي أوجد هذا الكيان من العدم المطلق في الزمن الماضـي، قادرٌ حتمًا على إعادة تشكيله في الزمن المستقبل، فالإعادة أهون في منطق العقول من الابتداء.

ولا يقتصر هذا الحجاج الزمني على الإفحام العقلي، بل يمتد لتحقيق غايةٍ نفسيةٍ عميقةٍ، فقوله تعالى: ﴿ **وَنَسِيَ خَلْقَهُ**﴾ يمثل ضـربةً قاصـمةً لغرور الإنسـان تجرده من كبريائه، وتعرّي ادعاءه العقلانية؛ لتثبت أنه مجرد كائنٍ مصـابٍ بفقدان الذاكرة الوجودي، وبعد أن أثبتت الآية القدرة المطلقة عبر دمج الماضي بالمستقبل توّجت المشهد بتقريرٍ كليّ يتجاوز حدود الزمن في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79)**﴾ (يس، الآية: 79)، فالعظام وإن تفرقت في الحاضر، وصارت رميمًا، فإن علم الخالق محيطٌ بشتاتها، وقدرته نافذةٌ في جمعها.

وهكذا تحول الأسلوب الحجاجي في آية البعث إلى محاكمةٍ زمنيةٍ كاملةٍ استغل فيها الخصم حاضره؛ لينكر مستقبله، فباغته القرآن بماضيه؛ ليثبت هذا المستقبل جاعلًا من بداية الإنسان ذاتها الدليل الأقوى على نهايته، وبعثه.

ب/ الحجة الاعتبارية التاريخية، والحجاج المتداخل (قصة أصحاب القرية):

يمثل استدعاء القصص القرآني نمطًا فريدًا من الحجاج يُعرف بالحجة الاعتبارية التاريخية، وهي استراتيجيةٌ تقوم على انتزاع حدثٍ غابرٍ من سـياقه الزمني المنقضـي، وتوظيفه بوصـفه أنموذجًا قياسـيًّا حيًّا يثبت اطراد السـنن الإلهية، وعدم تخلفها، فالقصة في القرآن لا تُساق لمجرد السرد الإخباري، أو التسلية التاريخية، بل تُوظف بوصفها مختبرًا واقعيًّا، وبرهانًا عقديًّا صارمًا؛ ((ليعمق العقيدة في النفوس، ويبصر بها العقول، ويحيي بها القلوب، ويسلك لتلك القضية المهمة الخطيرة أحســـن الطرق إمتاعًا، وإقناعًا، إمتاعًا للعاطفة، وإقناعاً للعقل... وفي حديثها عن ذلك كله نجد الدليل القاطع، والبرهان الســاطع منتزعاً من النفس تارة، ومن الآفاق تارة)) (عباس، 1987م، ص 10)، فالماضـي هنا يتحول إلى مقدمةٍ منطقيةٍ في قياسٍ تمثيليّ يربط بين ســـلوك المكذبين الأوائل، ومآلهم، وبين نظرائهم في الحاضـــر، وبهذا التوظيف يغدو الزمن الماضي أداةً حجاجيةً ضاغطةً تحاصر العقل الجاحد، وتجرده من وهم الاستثناء من العقاب، فهي محاكمةٌ للحاضر بأدلة الماضي؛ حيث تجعل من الاعتبار التاريخي قوةً إقناعيةً تُلزم المتلقي بمراجعة موقفه قبل فوات الأوان.

ولكن العبقرية الحجاجية في سورة يس تتجاوز هذا الإسقاط المباشر؛ لتبني ما يمكن تسميته بالحجاج الزمني المتداخل، وهو هندسةٌ بلاغيةٌ مركبةٌ تتضمن حجاجًا داخل حجاجٍ؛ حيث يُبنى هيكلٌ إقناعيٌّ مزدوجٌ ينقسم فيه المشهد إلى إطارين زمنيين يعملان معًا لإحكام السيطرة على عقل المتلقي، وهذان الإطاران هما:

1. **الإطار الخارجي (حجاج الماضي لإلزام الحاضر المشاهد):**

وهو توظيف الحدث التاريخي المنقضي للضغط المباشر على المخاطب الراهن؛ حيث ينتقل الأسلوب الحجاجي من البعد الفردي إلى البعد الجماعي التاريخي مستحضرًا قصة أصحاب القرية في قوله تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13)**﴾ (يس، الآية: 13)، فيبدأ هذا المشهد بفعل الأمر (وَاضْرِبْ) الواقع في الزمن الحاضر (زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وكفار قريش)؛ ليؤسس قنطرةً تربط المخاطبين بواقعةٍ ماضيةٍ عبر الظرف الزمني (إِذْ)، فهذا الزمن الاسترجاعي يطرح القصة بوصفها حجةً اعتباريةً تهدف إلى إسقاط الماضي المأساوي للمكذبين الأوائل على حاضر المكذبين الجدد؛ ليكون رسالةً تحذيريةً شديدة اللهجة.

2. **الإطار الداخلي (الحجاج الزمني داخل القصة ذاتها):**

وهو استعراض الآليات الزمنية، التي استخدمتها شخصيات القصة نفسها في جدالها الداخلي، ففي عمق هذا الماضي المستدعى يفتح القرآن نافذةً على حجاجٍ زمنيٍّ داخليٍّ دار بين أصحاب القرية، والمرسلين، ثم بلغ ذروته مع "الرجل المؤمن"، الذي جاء من أقصى المدينة، وذلك في قوله تعالى:﴿**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20)**﴾ (يس، الآية: 20).

لقد اعتمد المكذبون في حجاجهم على الزمن الحاضر المادي المحض، فواجهوا دعوة الرسل بالتشاؤم، والتهديد الآني في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (18)**﴾ (يس، الآية: 18)، وفي المقابل نهض حجاج الرجل المؤمن على الربط الزمني الشامل؛ حيث واجه حاضرهم المادي بربط الماضي المطلق بالمستقبل الحتمي، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22)**﴾ (يس، الآية:22).

وقد صاغ الخطاب القرآني المعجز هذا الحجاج الداخلي على لسان الرجل المؤمن؛ ليكون أنموذجًا للربط الزمني الشامل؛ إذ أورد النص زمن الماضي (فَطَرَنِي) بوصفه حجة إيجادٍ، وهي الاستدلال بسبق الفضل، والخلق في الماضي لإيجاب العبادة في الحاضر، ووظف زمن المستقبل (تُرْجَعُونَ) بوصفه حجة معادٍ، وهي الاستدلال بحتمية الوقوف بين يدي الله في المستقبل للردع عن الباطل في الحاضر؛ ليأتي تبرير الموقف الإيماني في الزمن الحاضر (أَعْبُدُ) نتيجةً حتميةً لهذا التسلسل، فهذا العرض القرآني للحجاج الداخلي يثبت أن منطق الإيمان متصلٌ زمنيًّا من المبدأ إلى المنتهى، بينما منطق الكفر مبتورٌ، ومحبوسٌ في لحظته الراهنة.

وقد أفاد هذا الحجاج الزمني المتداخل، والتوظيف المزدوج للزمن فوائد حجاجيةً بالغة الأثر برزت من خلال الآليات الآتية:

1/ **حجة الترغيب عبر القفزة الزمنية:** وهي طي المسافة الزمنية الفاصلة بين العمل، وجزائه لإثبات فورية الثواب، فبمجرد أن أنهى الرجل المؤمن حجاجه، وقُتل لم يعرض القرآن زمن موته، أو قبره، بل طوى الزمن طيًّا، وانتقل مباشرةً إلى المستقبل الأخروي في قوله تعالى: ﴿**قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26)**﴾ (يس، الآية:26)، فقد أفاد هذا الحذف الزمني إثبات أن المسافة بين التضحية في سبيل الحق، وتلقي الثواب هي مسافةٌ صفريةٌ في ميزان الله، وهذا يمثل حجةً ترغيبيةً هائلةً للمؤمنين في الحاضر.

2/ **حجة الترهيب عبر التقليص الزمني:** وهي ضغط الزمن اللازم للإهلاك في لحظةٍ خاطفةٍ؛ لكسر وهم الأمان، ففي مقابل القفزة الزمنية للمؤمن نحو الجنة عرض النص القرآني نهاية المكذبين بتقليصٍ زمنيٍّ حادٍّ في قوله تعالى: ﴿**إِنْ كَانَتْ**

إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (29)﴾ (يس، الآية: 29)؛ حيث أفاد هذا التوظيف (أداة الحصر، وتقليل الحدث، وفاء المفاجأة) كسر شعور المكذبين بالأمان الزائف مبرهنًا على أن الإهلاك الإلهي لا يخضع لحسابات البشر الزمنية البطيئة، بل يطوي وجودهم في كسرٍ من الثانية.

3/ **توحيد جبهة الصراع عبر الزمن:** وهي ربط الحاضر بالماضي؛ لإثبات وحدة المعركة، ووحدة المصير، وقد أفاد هذا الحجاج المتداخل في طمأنة النبي – صلى الله عليه وسلم– في حاضره بأن ما يواجهه من تكذيبٍ ليس بدعًا من الأمر، بل هو امتدادٌ لصراعٍ تاريخيٍّ ماضٍ، وأن السنن الإلهية، التي نصرت رسل القرية، وأهلكت مكذبيها هي ذاتها السنن الحاكمة في حاضره، ومستقبله.

ثانيًا: توظيف الزمن الحاضر (حجة المشاهدة، والبرهان الكوني):

ينتقل الخطاب القرآني في مساره الحجاجي من استدعاء الماضي السحيق إلى استنطاق الحاضر المشاهد جاعلًا من اللحظة الراهنة مسرحًا مفتوحًا تتجلى فيه براهين القدرة الإلهية بصفةٍ مستمرةٍ، ولا يُعنى هذا التوظيف بمجرد رصد الزمن العابر، بل يعمد إلى تحويل الظواهر الكونية المألوفة، التي يعايشها الإنسان في كل يومٍ إلى أدلةٍ ناطقةٍ، وحججٍ ملزمةٍ تحاصر العقل الجاحد، ومن خلال استثمار ديمومة الحاضر، وتجدده يؤسس القرآن الكريم لما يُعرف بحجة المشاهدة؛ حيث يغدو الواقع المحسوس قنطرةً يقينيةً للعبور نحو الإيمان بالغيب المستتر، فهذا الانتقال الزمني يضع المتلقي أمام محاكمةٍ حسيةٍ، وعقليةٍ لا تنفك عنه تسلبه أي فرصةٍ للتشكيك، أو الهروب، وتثبت له أن القدرة المهيمنة على تسيير الكون في حاضره هي ذاتها القادرة على بعثه في مستقبله؛ ليكون كل يومٍ يمر عليه وثيقة إثباتٍ دامغةً لا تقبل الدحض، وقد انقسم هذا النوع من الحجاج في السورة إلى قسمين متكاملين:

أ/ إحياء الأرض الميتة (البرهان الأرضي المشاهد):

ينتقل الخطاب الحجاجي في هذا المشهد من استدعاء الغابرين إلى استنطاق الواقع المحسوس، جاعلًا من البيئة الأرضية التي يعايشها الإنسان مختبرًا حيًّا تتجلى فيه براهين القدرة الإلهية. ويتجلى هذا التوظيف في قوله تعالى؛ حيث يقول تعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35)**﴾ (يس، الآية: 33 – 34– 35)، تُصدَّر الآية بكلمة (وَآيَةٌ)؛ لتقرير أن ما سيُعرض ليس مجرد ظاهرةٍ طبيعيةٍ، بل هو علامةٌ برهانيةٌ قائمةٌ في الحاضر، ورغم استخدام الفعلين الماضيين (أَحْيَيْنَاهَا، وَأَخْرَجْنَا)؛ لبيان تحقق الفعل، ووقوعه الحتمي، إلا أن السياق ينعطف نحو ديمومة الحاضر من خلال الفعل المضارع (يَأْكُلُونَ)، ويهدف هذا العدول الزمني إلى استحضار الصورة، وجعل المشهد حيًّا متجددًا يتحرك أمام عين المخاطب.

وتنهض الحجة هنا على نقل الإنسان من التجريد إلى التجسيد، فبينما يستصعب العقل إعادة إحياء الموتى في المستقبل يوجهه القرآن لمشاهدة "عملية بعثٍ مصغرةٍ" تحدث أمامه في الزمن الحاضر، فالأرض القاحلة التي تدب فيها الحياة هي برهانٌ ماديٌّ مستمرٌّ يثبت أن القدرة، التي تبعث الجماد الآن هي ذاتها القادرة على إحياء الرفات غدًا؛ ليغدو هذا التقابل الزمني بين حاضر الأرض، ومستقبل الإنسان حجةً دامغةً تخرس الجحود.

ولا يقف هذا المشهد عند حدود إخراج الحب، بل يمتد زمنيًّا، وموضوعيًّا؛ ليشمل تنوع العطاء الإلهي في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35)**﴾ (يس، الآيات: 34– 35)، نلحظ هنا استمرارًا في توظيف الأفعال الماضية الدالة على القدرة التأسيسية (جَعَلْنَا، فَجَّرْنَا)؛ ليعقبها انتقالٌ حجاجيٌّ دقيقٌ نحو المستقبل المستمر عبر لام التعليل، والمضارع (لِيَأْكُلُوا) مبرهنًا على أن العناية الإلهية ليست حدثًا منقطعًا، بل سلسلةٌ زمنيةٌ متصلةٌ تفيض بالنعم.

وتكتمل الدائرة الحجاجية بالاستفهام الإنكاري التوبيخي (أَفَلَا يَشْكُرُونَ)؛ إذ ينقل الخطاب المتلقي من دائرة الاستدلال العقلي إلى دائرة الإلزام الأخلاقي، فبعد أن حاصره بتسلسلٍ زمنيٍّ يثبت القدرة على الإحياء، يضعه أمام نتيجةٍ حتميةٍ تفيد بأن من يتقلب في هذه النعم المتجددة زمنيًّا لا يسعه إلا الإذعان، وبذلك يتحول الزمن الحاضر إلى حجةٍ مزدوجةٍ: عقليةٍ تثبت إمكانية البعث، ووجدانيةٍ تستقبح الكفر وتلزم بالشكر الفوري.

ب/ التعاقب الفلكي الدقيق (البرهان السماوي المستمر):

ويتسع نطاق الحجاج الزمني؛ ليعانق الآفاق الكونية مستدعيًا تعاقب الليل، والنهار وحركة الأجرام السماوية بوصفها براهين حاضرةً لا تنفك عن حياة الإنسان، يقول تعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (37) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (40)**﴾ (يس، الآيات: 37– 38– 39– 40)، ففي هذا المشهد يهيمن الفعل المضارع (نَسْلَخُ/ تَجْرِي/تُدْرِكَ)؛ ليضفي على النص طابع الحركة الدؤوبة، والزمن الحاضر المتجدد الذي لا يتوقف، فالتعبير بـــ (نَسْلَخُ) يصور انسحاب الضوء، وحلول الظلام كعمليةٍ حيةٍ تحدث أمام الأعين؛ ليكون هذا التغير اليومي حجةً على خضوع الكون لمدبرٍ قاهرٍ.

وتصل الحجة الزمنية إلى ذروتها في قوله تعالى: ﴿**وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ**﴾ (يس، الآية: 40)؛ حيث يُتخذ الزمن نفسه (الليل، والنهار) دليلًا على دقة الصانع، فهذا النظام الفلكي الصارم، الذي لا يطغى فيه زمنٌ على زمنٍ، ولا يسبق فيه حاضرٌ مستقبله إلا بمقدارٍ معلومٍ، ينسف فكرة الصدفة العشوائية، ويؤسس ليقينٍ عقليٍّ بأن هذا الكون المحكم في حاضره لا بد أن يكون صادرًا عن إلهٍ واحدٍ، وهكذا يتحول الزمن الحاضر بكل تفاصيله اليومية المعتادة إلى شبكةٍ من الأدلة الحجاجية، التي تحيط بالإنسان من كل جانبٍ؛ لتوقظ فطرته وتلزمه بالإيمان.

ثالثًا: توظيف الزمن المستقبل (حجة الترهيب، واستحضار الغيب):

يبلغ الأسلوب الحجاجي في سورة يس ذروة تأثيره النفسي حين ينتقل من استنطاق الحاضر إلى استحضار المستقبل موظفًا إياه أداةً للترهيب، وكسر حواجز الغفلة، فالزمن المستقبل في الخطاب القرآني ليس مجرد حيزٍ زمنيٍّ مؤجلٍ، بل هو واقعٌ حتميٌّ يُستدعى ليعيشه المتلقي في لحظته الراهنة، فيعتمد هذا التوظيف على تقريب الغيب، وتجسيد أهواله، وهو ما يسلب العقل البشري قدرته على التسويف، والهروب، ويضعه وجهًا لوجهٍ أمام مصيره المحتوم، ومن خلال نقل مشاهد القيامة، والبعث الواقعة لا محالة ويتحول المستقبل من فكرةٍ غيبيةٍ مجردةٍ إلى حجةٍ ضاغطةٍ تزلزل كيان المكذب، وتلزمه بمراجعة حساباته قبل فوات الأوان؛ لينقسم هذا الحجاج المستقبلي إلى مشهدين متكاملين:

أ/ المفاجأة، وسرعة الانقضاء (حجة كسر التسويف):

يعتمد عقل الكافر في جحوده غالبًا على وهم امتداد الزمن متخذًا من التسويف درعًا يصد به دعوات الإيمان ظانًّا أن المستقبل مساحةٌ مفتوحةٌ تمنحه رفاهية الجدال، وتأجيل الحسم، وفي مواجهة هذه المماطلة يبتكر الخطاب القرآني مسارًا حجاجيًّا فريدًا يقوم على مصادرة الزمن؛ حيث يُجرد الخصم من سلاحه الأثير عبر تحويل المستقبل من أفقٍ بعيدٍ، وآمنٍ إلى مباغتةٍ صاعقةٍ تلغي المسافة بين التوقع، والوقوع.

فهذا التوظيف لا يكتفي بإنذار الكافرين، والمكذبين، بل يهدم بنيتهم النفسية القائمة على الاستبعاد جاعلًا من عنصر المفاجأة حجةً قاطعةً تثبت هيمنة الخالق المطلقة على مقاليد الزمن، وتكشف تفاهة الانشغال الدنيوي أمام سرعة الانقضاء.

ويتجلى هذا المسار الحجاجي في أبهى صوره حين يبرز النص القرآني عنصر المباغتة، الذي يطوي الزمن الدنيوي طيًّا، وذلك في قوله تعالى: ﴿**مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (49) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (50)**﴾ (يس، الآيات: 49– 50).

تنهض البنية الحجاجية في هذه الآيات على استراتيجية التقليص الزمني الحاد، فتبدأ الحجة بنفي الانتظار الطويل عبر أداة الحصر المتمثلة في أسلوب النفي، والاستثناء (مَا... إِلَّا)؛ لتقرر أن المستقبل الذي يستبعده المنكرون ليس حقبةً ممتدةً، بل هو نقطةٌ زمنيةٌ مضغوطةٌ في (صَيْحَةً وَاحِدَةً)، فهذا التكثيف الكمي، والزمني للصيحة يمثل ضربةً حجاجيةً تسقط كل حسابات البشر؛ فالأمر لا يستدعي مقدماتٍ، أو إرهاصاتٍ تمنحهم فرصةً للتدارك، بل هو انقضاءٌ فوريٌّ ينسف وهم الاستقرار، ويثبت أن تأخير العذاب ليس عجزًا، بل هو إمهالٌ ينتهي بلمح البصر.

وتتعمق قوة الحجاج الزمني في التقاط اللحظة الحرجة في قوله تعالى: ﴿**وَهُمْ يَخِصِّمُونَ**﴾، فهنا يضعنا القرآن أمام تصادمٍ مروعٍ بين مسارين للزمن: مسارٌ بشريٌّ أفقيٌّ بطيءٌ يغرق في تفاصيل الجدال العقيم، ومسارٌ إلهيٌّ عموديٌّ صاعقٌ يتدخل ليقطع هذا الجدال، فالحجة البالغة هنا تكمن في أن النهاية لا تأتيهم بعد أن يفرغوا من خصومتهم، بل تباغتهم في ذروة انشغالهم بها، وهذا التداخل يمثل إدانةً حجاجيةً قاصمةً؛ إذ يبرهن للمجادل أن اللحظة الحاضرة، التي يستغلها في محاربة الحق، قد تكون هي ذاتها لحظة فنائه، وهو ما يجعل من التسويف حماقةً كبرى، ومن الخصومة عبثًا لا طائل منه.

وتتوج هذه المحاكمة الزمنية ببيان حال الشلل الزمني التام، التي تعقب الصيحة في قوله تعالى: ﴿**فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (50)**﴾ (يس، الآية: 50)، فالمباغتة جردتهم من أي امتدادٍ زمنيٍّ، فلا هم يملكون زمنًا مستقبليًّا يتيح لهم إلقاء وصيةٍ، ولا هم يملكون زمنًا استرجاعيًّا يسمح لهم بالعودة إلى أهلهم، فإغلاق منافذ الزمن (إلى الأمام، وإلى الخلف) هو أبلغ حجةٍ على القهر الإلهي؛ حيث يتحول الإنسان الكافر المتغطرس، والمجادل إلى كائنٍ مسلوب الإرادة محاصرٍ في نقطة الصفر؛ ليدرك متأخرًا أن الزمن الذي كان يضيعه في التكذيب لم يكن ملكًا له قط.

ب/ مشهد البعث، والصدمة (حجة الإلزام الغيبي، والاستباق الزمني):

يبلغ مسار الإقناع القرآني ذروته حين يتجاوز حدود الزمن المعاش؛ ليفتح أمام العقل البشري نافذةً كبرى تطل مباشرةً على أهوال يوم القيامة، وهذا الانتقال لا يُقصد به مجرد السرد الإخباري لأحداثٍ لم تقع بعد، بل يمثل محاكمةً استباقيةً تُعقد في ساحة الغيب؛ لتطويق الكافرين، وتجريدهم من كل ذرائع التكذيب، فالقرآن هنا يستثمر الزمن المستقبل بوصفه أداةً صاعقةً تكسر حاجز الركون إلى الدنيا، وتضع الإنسان أمام حقيقةٍ مفزعةٍ لا تقبل التأجيل ممهدًا بذلك لضربةٍ حجاجيةٍ قاضيةٍ تُنطق الخصم بالاعتراف، وإذا كان المشهد السابق قد وظف المباغتة لإنهاء الزمن الدنيوي، فإن الخطاب الحجاجي ينتقل هنا إلى استراتيجيةٍ أعمق تُعرف بالاستباق الزمني، أو الإسقاط المستقبلي، فلا يكتفي القرآن الكريم بإنذار المكذبين بغيبٍ بعيدٍ، بل يعمد إلى اختطاف وعيهم من اللحظة الحاضرة؛ ليقذف بهم في قلب المستقبل الأخروي، فهذا التوظيف يهدف إلى تحويل الغيب المستتر إلى واقعٍ مشهودٍ، حين يُجبر العقل الجاحد على معايشة صدمة البعث قبل أوانها، وتكمن قوة هذا الحجاج الزمني في أنه يصادر حق الخصم في التشكيك؛ لأنه لا يطالبه بتخيل المستقبل فحسب، بل يجعله فاعلًا فيه، وشاهدًا عليه؛ ليغدو اعترافه الآتي حجةً دامغةً تُلزمه بالتسليم في حاضره الراهن.

وينتقل النص القرآني بالمتلقي إلى عمق هذا المستقبل الأخروي مصورًا لحظة البعث حقيقةً واقعةً في قوله تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ۜ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52)**﴾ (يس، الآيات: 51 – 52)، فهذه الآيات تتأسس على هندسةٍ حجاجيةٍ زمنيةٍ بالغة التعقيد، والتأثير يمكن تفكيك آلياتها، وما أفادته في مسار الإقناع من خلال المحاور الآتية:

1. **التعبير بالماضي عن المستقبل (حجة اليقين، وإلغاء المسافة الزمنية):**

حيث يعتمد القرآن أسلوبًا بلاغيًّا، وحجاجيًّا فريدًا يتمثل في صياغة أحداث المستقبل الغيبي بأفعالٍ ماضيةٍ (وَنُفِخَ، قَالُوا)، فالفائدة الحجاجية لهذا الانزياح الزمني تكمن في إلغاء المسافة الزمنية بين المتلقي، ويوم القيامة، ففي العرف

المنطقي يُعد الماضي زمنًا مغلقًا، ومتحققًا لا يقبل الشك، وحين يُصاغ المستقبل بهذا القالب، فإنه يتحول من احتمالٍ غيبيٍّ إلى أمرٍ واقعٍ، ومنتهٍ، وهذا التوظيف يسلب الخصم مساحة الجدال، فالحدث لم يعد مجرد وعيدٍ ننتظر وقوعه، بل هو حقيقةٌ حتميةٌ يتحدث عنها النص، وكأنها قد وقعت، وانقضت.

2. **المفارقة الحركية (كسر سكون الزمن):**

تأتي فاء المفاجأة في قوله: ﴿**فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51)** ﴾ (يس، الآية: 51)؛ لتصنع تقابلًا حجاجيًّا بين زمنين: زمن الموت الطويل، والساكن في القبور، وزمن البعث الخاطف، والسريع، فالتعبير بقوله: (يَنسِلُونَ)، الذي يفيد سرعة الخروج، والتدفق يمثل حجةً زمنيةً ترد على استبعاد العقل البشري للبعث؛ إذ يبرهن النص على أن طول أمد البلى، والرقود لا يعجز القدرة الإلهية عن إحداث استجابةٍ فوريةٍ، وحركةٍ جماعيةٍ سريعةٍ بمجرد النفخ في الصور.

3. **الإدانة الذاتية الاستباقية (تطابق الخصومة، والاعتراف):**

تبلغ الحجة الزمنية ذروتها حين ينطق المكذبون أنفسهم بالاعتراف في لحظة صدمةٍ كبرى يقول الله تعالى على لسانهم ﴿**قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا)**﴾ (يس، الآية: 52)، فقد أفاد الحجاج الزمني هنا في ضرب سؤال الإنكار، بسؤال الاعتراف، ففي الحاضر الدنيوي كان الخصم يمسك العظم البالي، ويسأل مستنكرًا: (مَن يُحْيِي الْعِظَامَ)، وفي المستقبل الأخروي ينهض من قبره ليسأل مصدومًا: (مَن بَعَثَنَا)، فاستحضار هذا التساؤل المستقبلي يمثل إدانةً ذاتيةً استباقيةً؛ حيث يجعل القرآن من لسان الخصم في المستقبل أقوى حجةٍ؛ لتكذيب ادعائه في الحاضر محاصرًا إياه باعترافه قبل أن ينطق به.

4. **إغلاق الدائرة الزمنية (الربط بين الوعد، والتحقق):**

وتكتمل هذه المحاكمة الزمنية بالجواب الحاسم، الذي يطوي سجل الجدال في قوله تعالى: (هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ)، فالفائدة الحجاجية الكبرى هنا هي إغلاق الدائرة الزمنية بإحكامٍ شديدٍ؛ إذ يتم الربط المباشر بين الماضي (وعد الرحمن وصدق المرسلين في الحياة الدنيا)، والحاضر الأخروي (البعث المشاهد أمام أعينهم)، وهذا التطابق التام بين ما قيل في الماضي، وما تحقق في المستقبل يثبت للمتلقي أن الكلمة الإلهية تخترق حجب الزمن، ولا تتخلف، وأن الغيب الذي كان يجادل فيه قد أصبح الآن واقعًا يراه رأي العين.

المبحث الثاني: الهندسة الزمنية المركبة في الحجاج القرآني:

بعد أن طاف الخطاب القرآني بالعقل البشري عبر محطاتٍ زمنيةٍ متعاقبةٍ، مستخدمًا كل زمنٍ على حدةٍ بوصفه أداةً إقناعيةً مستقلةً يرتقي الأسلوب الحجاجي في خواتيم سورة يس إلى مستوىً أعلى من الإعجاز البياني، مؤسسًا لما يمكن تسميته بالهندسة الزمنية المركبة.

إن هذا الانتقال المنهجي لم يأتِ عفوًا، بل جاء استجابةً لضرورةٍ حجاجيةٍ تقتضي محاصرة العقل الجاحد، الذي قد يحاول التملص من الحجج الخطية عبر الاحتماء بلحظته الراهنة، ولتحطيم هذا الوهم المادي يكسر القرآن الكريم الرتابة المألوفة للزمن، متجاوزًا التقسيم البشري المعتاد (ماضٍ، وحاضرٌ، ومستقبلٌ)؛ ليصنع نسيجًا متداخلًا تتصادم فيه الأزمنة، وتتبادل أدوارها، وتلتحم بالمكان في وحدةٍ عضويةٍ مذهلةٍ.

ففي هذه الهندسة المركبة لا يعود الزمن مجرد قنطرةٍ يعبر عليها الفكر، بل يتحول إلى شبكةٍ إدراكيةٍ محكمةٍ تطوي المسافات، وتلغي الفواصل، وتضع المخاطب أمام تجلٍّ مهيبٍ للإحاطة الإلهية المطلقة، التي لا يحدها زمانٌ، ولا يحويها مكانٌ، ويمثل هذا النسق الإعجازي ذروة الإلزام والإفحام؛ إذ يسلب الكافر أي مساحةٍ للمراوغة، مجبرًا إياه على التسليم بحقائق الغيب؛ لأنها واقعٌ مشهودٌ.

وقد انتظم هذا المبحث في نقطتين رئستين تعالج كل منهما تقنيةً فريدةً من تقنيات هذه الهندسة المركبة، وذلك على النحو الآتي:

أ/ التناوب الزمني في مشاهد القيامة (الانزياح الحجاجي المزدوج):

لم يقتصر الخطاب القرآني في سورة يس على توظيف كل زمنٍ على حدةٍ، بل ارتقى بالأسلوب الحجاجي إلى مرتبةٍ أشد تعقيدًا وتأثيرًا، تتجلى في كسر الرتابة الزمنية عند تصوير أحداث الغيب الأخروي، فبدلًا من سرد مشاهد يوم القيامة بصيغة المستقبل المتوقعة، يعمد النص القرآني إلى تقنيةٍ بلاغيةٍ تُعرف بالتناوب الزمني، أو الانزياح الحجاجي، وهي استراتيجيةٌ أسلوبيةٌ تقوم على خروج الفعل عن زمنه النحوي الأصلي (المستقبل)؛ ليتقمص زمنًا آخر (الماضي، أو الحاضر) لغاياتٍ إقناعيةٍ، فهذا الانتقال المفاجئ بين الأزمنة ليس تلوينًا جماليًّا فحسب، بل هو هندسةٌ حجاجيةٌ تضع العقل البشري في مواجهةٍ مباشرةٍ مع الغيب، محولةً إياه من فكرةٍ مؤجلةٍ إلى واقعٍ يفرض سيطرته على اللحظة الراهنة، وقد اشتغلت هذه التقنية في السورة عبر ثلاث آلياتٍ متكاملةٍ:

1/ آلية الانزياح نحو الماضي (حجة اليقين، وقطع دابر الشك)

يُقصد بالانزياح نحو الماضي حجاجيًّا تلك الاستراتيجية البلاغية التي يُعدل فيها عن صيغة المستقبل المتوقعة إلى صيغة الماضي المنقضي؛ للتعبير عن أحداث الغيب الآتية بوصفها حقائق متحققة الوقوع، وفي هذا السياق يعمد النص القرآني إلى صياغة أحداث المستقبل الغيبي بأفعالٍ ماضيةٍ، كما في قوله تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ۜ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52)**﴾ (يس، الآيات: 51 – 52)، وتتأسس هذه الآلية على قاعدةٍ بلاغيةٍ أصيلةٍ في علوم القرآن أشار إليها الإمام جلال الدين السيوطي نصًّا في كتابه الإتقان؛ حيث يقول: ((وذُكر كثيرًا أنها تخرج عن اللفظ إلى المستقبل، نحو: ﴿**يُومَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**﴾ (الزلزلة: 4)، والجمهور أنكروا ذلك؛ وجدولوا الآية من باب ﴿**وَنُفِخ فِي الصُّور**﴾، أعني من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة الماضي الواقع)) (السيوطي، د.ت، ص 145))، وتتجلى الفائدة الحجاجية لهذا التوظيف في تنزيل المستقبل منزلة الماضي؛ لتحقيق الإلزام، واليقين المطلق، ففي التوجيه النحوي والدلالي لهذا الأسلوب يُقرَّر أن الفعل الماضي، وقد يُستعمل في موضع المستقبل تنبيهاً على تحقق وقوعه، وأنه كالواقع الذي لا محالة فيه، ويكثر ذلك في القرآن الكريم في أهوال القيامة، وما يكون في الآخرة، (السامرائي، 2003م)، فحين يُصاغ الغيب بهذا القالب، فإنه يتحول من مجرد وعيدٍ يُنتظر وقوعه إلى حقيقةٍ واقعةٍ، ومنتهيةٍ في علم الله، فهذا الانزياح يسلب الخصم مساحة الجدال؛ إذ يضعه أمام حدثٍ مفروغٍ منه، وهو ما يجعل إنكار البعث ضربًا من العبث، ومصادمةً لواقعٍ قد كُتب، وانقضى، فالنص لا يقول للمكذبين "**سيُنفخ في الصور**"، بل يخبرهم أن الأمر قد (نُفِخَ) وانتهى؛ ليغلق أمامهم كل أبواب التشكيك.

2/ آلية الانزياح نحو الحاضر (حجة التجسيد النفسي والترهيب):

يقصد بالانزياح نحو الحاضر حجاجيًّا تلك التقنية البلاغية التي يُعدل فيها عن زمن المستقبل إلى صيغة الفعل المضارع؛ لاستحضار الأحداث الغيبية الآتية، وجعلها مشاهد حيةً تتجدد، وتستمر في اللحظة الراهنة، وفي مقابل يقين الماضي ينتقل النص القرآني ببراعةٍ إلى هذه الصيغة (الحاضر) في المشاهد ذاتها، كما في قوله تعالى:﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51)**﴾ (يس، الآية:51)، وقوله: ﴿**فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (54)**﴾ (يس، الآية: 54) ، وقوله: ﴿**وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (49)**﴾ (يس، الآية: 49)، وتعتمد هذه الآلية على استثمار طاقة الفعل المضارع في استحضار الحركة، والتجدد، والاستمرار.

وقد حقق هذا التوظيف غايةً حجاجيةً بالغة الأثر تتمثل في الترهيب، واستحضار الصورة؛ إذ ينقل الحدث من كونه إخبارًا غيبيًّا جافًّا إلى مشهدٍ حيٍّ، ومباشرٍ شاخصٍ أمام الأعين، فالفعل (يَنسِلُونَ) يجسد الحركة السريعة المتدفقة للخروج

من القبور، وكأنها تحدث الآن، والفعل (تُظْلَمُ) يضع المتلقي في قلب المحاكمة الإلهية الراهنة، فهذا التجسيد يكسر حواجز الغفلة، ويجعل الخصم يعيش أهوال القيامة وجدانيًّا قبل أن يدركها ماديًّا محولًا الغيب إلى مشهدٍ بصريّ يضغط على أعصاب المتلقي، ويلزمه بمراجعة موقفه.

3/ آلية التناوب المزدوج (حصار العقل بين اليقين، والحركية):

فالتناوب المزدوج حجاجيًّا هو تلك الهندسة البلاغية المركبة التي تجمع بين الانزياحين السابقين في سياقٍ واحدٍ، فتراوح بين صيغتي الماضي، والمضارع؛ لتطويق وعي المتلقي بين حتمية الوقوع الغيبي، وحيوية المشهد الشاخص، وتبلغ هذه التقنية ذروتها حين يجمع النص القرآني بين الآليتين السابقتين متناوبًا بين الماضي، والحاضر في الآية ذاتها، كما في قوله تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ۜ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52)**﴾ (يس، الآيات: 51 – 52)، فهنا نجد تعاقبًا مذهلًا يتسلسل عبر المسار الآتي:

ماضٍ (نُفِخَ) ← حاضرٌ (يَنسِلُونَ) ← عودةٌ إلى الماضي (قَالُوا).

ويثمر هذا التناوب المزدوج عن بناء حصارٍ إدراكيّ محكمٍ يطوق عقل الكافر الجاحد من جهاته كافةً، فبينما يقطع الفعل الماضي (نُفِخَ، قَالُوا) دابر الإنكار، ويثبت حتمية الوقوع، يأتي الفعل المضارع (يَنسِلُونَ)؛ ليمنع الركون إلى سكون الماضي، ويبث الرعب في الأوصال، وهذا التضافر بين يقين الماضي، وحركية الحاضر يذيب المسافات الزمنية، ويجعل المستقبل الأخروي حقيقةً تكتسح وعي الإنسان، وتضعه بين فكي كماشةٍ: يقينٌ لا يُدفع، ومشهدٌ حيٌّ لا يُرفع، وهو ما يلزمه بالتسليم المطلق دون أدنى فرصةٍ للمراوغة.

ب/ التداخل الزمني المادي (ذروة الحجاج الشامل):

بعد أن طاف الخطاب القرآني بالعقل البشري عبر محطاتٍ زمنيةٍ متعاقبةٍ، مستخدمًا كل زمنٍ على حدةٍ بوصفه أداةً إقناعيةً مستقلةً يصل الأسلوب الحجاجي في خواتيم سورة يس إلى ذروة سنامه الإعجازي عبر ما يمكن تسميته بالتداخل الزمني المادي.

ويُقصد بالتداخل الزمني المادي حجاجيًّا هو تلك الهندسة البلاغية المركبة، التي لا تكتفي بالانتقال الخطي بين الأزمنة، بل تعمد إلى دمج الأبعاد الزمنية الثلاثة (الماضي، والحاضر، والمستقبل)، وتسليطها دفعةً واحدةً على شيءٍ ماديّ محسوسٍ (العظم الرميم) في وحدةٍ تعبيريةٍ، وحجاجيةٍ واحدةٍ، فهي لحظةٌ بلاغيةٌ مكثفةٌ تتلاشى فيها الفواصل بين الأوقات؛ ليُحاصر عقل الكافر الجاحد في نقطة ارتكازٍ ماديةٍ كبرى لا يملك معها أي منفذٍ للهروب.

ولقد اختلف هذا النمط الختامي عن الحجاج الزمني السابق اختلافًا جوهريًّا في آلية الإقناع، واتجاهه، ففي المباحث السابقة كان الحجاج يعتمد على الرحلة الزمنية؛ إذ يأخذ القرآن بيد المتلقي من الحاضر؛ ليسافر به إلى الماضي (كقصة أصحاب القرية)، أو يقفز به إلى المستقبل (كمشهد النفخ في الصور)، أما في التداخل الزمني المادي، فإن القرآن لا يسافر بالمتلقي، بل يطوي الأزمنة كلها، ويكثفها حول دليلٍ ماديّ واحدٍ في اللحظة الراهنة، فالحجاج السابق كان يمثل قناطر زمنيةً يعبر عليها العقل، بينما يمثل التداخل الزمني المادي شبكةً إدراكيةً، أو حصارًا كليًّا يسقط فيه العقل؛ حيث تتصادم رؤية الإنسان المجزأة للزمن مع رؤية الخالق المحيطة بكل شيءٍ.

وتتجلى هذه العبقرية الحجاجية في المشهد، الذي صوره القرآن الكريم لحوار الإنسان الكافر المنكر للبعث، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79)**﴾ (يس، الآيات: 78–79)

وهذه الآيات تنهض على صراعٍ حجاجيّ عميقٍ بين منهجيتين في التعامل مع الزمن، والمادة، وهما:

1. **منهجية الخصم (اقتطاع اللحظة المادية):**

حيث اعتمد الكافر الجاحد في حجاجه على مغالطةٍ منطقيةٍ كبرى تتمثل في عزل الشـــيء المادي عن مســـاره الزمني الكامل، فقد أمسك بقطعةٍ ماديةٍ (العظم البالي)، وحبس تفكيره في حالتها الراهنة داخل الزمن الحاضر (وَهِيَ رَمِيمٌ)؛ ليتخذ من هذا السكون، والتحلل دليلًا قاطعًا على استحالة الفعل في الزمن المستقبل (مَن يُحْيِي)؛ حيث إن مشكلة هذا الاستدلال البشري تكمن في أنه يمثل قمة القصور الإدراكي؛ لأن الخصم اقتطع اللحظة الحاضرة من سياقها، وتناسى عمدًا الزمن الماضي، الذي انطلقت منه بداية هذا العظم من العدم، في بيان هذا السر البلاغي يُقرَّر أن قوله تعالى: (("ونسي خلقه" مستعار لانتفاء العلم من أصله، أي لعدم الاهتداء إلى كيفية الخلق الأول، أي نسي أننا خلقناه من نطفة، أي لم يهتدِ إلى أن ذلك أعجب من إعادة عظمه))، (ابن عاشـــور، 1984م، ص 75)، ونتيجةً لهذا الانقطاع الإدراكي، فهو يبني نتيجته الكبرى (استحالة البعث) على مقدمةٍ مبتورةٍ زمنيًّا ظانًّا أن المشهد ينتهي عند حدود التحلل المادي.

2. **المنهجية القرآنية (الإحاطة الزمنية الشاملة بالمادة):**

وفي مواجهة هذا الاقتطاع المادي، لم يقتصر الرد القرآني على إثبات القدرة في الزمن المستقبل فحسب، بل سدد ضربةً حجاجيةً قاصـــمةً تدمج الأزمنة الثلاثة بالدليل المادي في نســقٍ إعجازيٍّ واحدٍ، فقد فكك النص شــبهة الكافر الجاحد عبر هندسةٍ استدلاليةٍ محكمةٍ، تمثلت في الخطوات الآتية:

أ/ استحضار الماضي المنسي (التعرية النفسية، والعقلية): لقد استهل النص القرآني رده بضربةٍ استباقيةٍ تجرد الكافر من أهليته للجدال في قوله تعالى: (وَنَسِيَ خَلْقَهُ)؛ ليربط بين الكيان المادي الحاضر (الإنسان المتغطرس الواقف للخصومة)، وماضيه العدمي، فهذه اللفتة تبرهن على أن من أُصيب بالعمى عن إدراك ماضيه، وسلخ نفسه من أصل نشأته يسقط حقه منطقيًّا في محاكمة مستقبله.

ب/ **الالتحام الزمني المادي (طي المسافات، ودمج الأزمنة):** جاء الرد الإلهي الحاسم في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ (79)**﴾ (يس، الآيات: 79)؛ ليصنع تلاحمًا زمنيًّا معجزًا يطوي المسافات، فالفعل المضارع (يُحْيِيهَا) يقرر حتمية المستقبل، والفعل الماضي (أَنشَأَهَا) يثبت حقيقة الماضي، والظرف (أَوَّلَ مَرَّةٍ) يحدد نقطة الانطلاق التكوينية، بينما يمثل الشيء المادي (الضمير العائد على العظام في الفعلين) محور الارتكاز، الذي تدور عليه هذه الأزمنة.

وتتويجًا لهذا النســق تتشــكل الحجة الكبرى؛ لتقرر أن هذا الكيان المادي (العظم) يســتحيل فصــله عن مســاره الزمني المتصـل، فالله سـبحانه وتعالى، الذي أوجده من العدم المحض في الماضـي، والمحيط بحال تحلله في الحاضـر هو حتمًا قادرٌ على إعادة تشكيله، وبعثه في المستقبل.

وقد أثمر هذا التداخل الزمني المادي عن تحقيق وظائف حجاجيةٍ كبرى توجت مسار السورة بأكملها، وتجلت في الآتي:

أولًا: إثبات الإحاطة الإلهية المطلقة: كشـف هذا التداخل عن البون الشـاسـع بين علم الخالق، وقصـور المخلوق، فالكافر محبوسٌ داخل سجن لحظته الحاضرة لا تدرك حواسه سوى العظم الرميم، بينما تتجلى إحاطة الخالق بالزمن كله، وقد تُوِّج هذا المعنى بالفاصـلة القرآنية ﴿ **وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾ (يس، الآية: 79)؛ لتقرر أن تفرق المادة، وشـتاتها في الحاضـر لا يعجز علم الله المحيط بالماضي، والمستقبل.

ثانيًا: هدم المنهجية المادية من جذورها: لم يقف هذا الحجاج عند حدود إثبات البعث، بل امتد ليهدم طريقة التفكير المادية، التي يرتهن فيها الكافر للمحسـوس الآني فقط؛ حيث رسـخ التداخل الزمني المادي قاعدةً عقليةً صـارمةً تفيد بأن الحكم على النهايات لا يسـتقيم أبدًا إلا باسـتصـحاب البدايات، وأن الزمن سـلسـلةٌ متصـلةُ الحلقات، لا يجوز بترها، أو اجتزاؤها؛ لخدمة الجحود، والإنكار.

ثالثًا: الإفحام الكلي، وإغلاق منافذ الجدال: في الحجج الزمنية المفردة، قد يحاول العقل الجاحد المراوغة بالانتقال من زمنٍ إلى آخر، متلمسًـــا ثغرةً للهروب من الإلزام، أما في تقنية التداخل الزمني المادي، فقد أُحكم الطوق، وأُغلقت كل منافذ

التشكيك أمام الكافر، فلا الماضي يسعفه للإنكار؛ لأنه يحمل دليل ضعفه، وخلقه من عدمٍ محضٍ، ولا الحاضر ينفعه للتمرد؛ لأنه مجرد قنطرةٍ، ومرحلة انتقالٍ عابرةٍ، ولا المستقبل يتركه لغفلته؛ لأنه مصيرٌ آتٍ لا محالة، وواقعٌ حتميٌّ سيقف أمامه، فهذا الحصار الإدراكي الشامل، الذي يطوق المكذب من جهاته الزمانية، والمادية كافةً يمثل أعلى درجات الإلزام، والإفحام في البلاغة القرآنية؛ حيث تتلاشى كل مساحات المناورة، ويُجبر العقل على الإذعان المطلق لسطوة الحق.

الخاتمة:

في ختام هذه الرحلة الاستكشافية في ظلال سورة يس تتجلى حقيقةٌ كبرى مفادها أن الخطاب القرآني قد تجاوز النظرة المألوفة للزمن بوصفه مسارًا خطيًّا محايدًا تجري فيه الأحداث؛ ليعيد هندسته، ويحوله إلى آلةٍ حجاجيةٍ قاهرةٍ تعيد تشكيل وعي الإنسان بوجوده، وتفكك منظومة الكفر، والجحود، وتتبلور ثمار هذا التوظيف الإعجازي في أبعادٍ زمنيةٍ متكاملةٍ، برزت معالمها على النحو الآتي:

1- **توظيف الزمن الماضي (ببعديه التكويني، والتاريخي):** لم يأتِ استدعاء الماضي في النسق القرآني سردًا تاريخيًّا، أو حنينًا غابرًا، بل نهض بوصفه مقدمةً منطقيةً صارمةً؛ ففي بعده التكويني، تحول إلى مرآةٍ كاسرةٍ لغرور الكافر عبر تذكيره ببدايته العدمية، وفي بعده التاريخي، غدا مختبرًا حيًّا يحاكم الحاضر محولًا مصارع المكذبين إلى قوةٍ رادعةٍ تثبت اطراد السنن الإلهية، وعدم تخلفها.

2- **توظيف الزمن الحاضر (حجة المشاهدة، والبرهان الكوني):** تجاوزت ديمومة الظواهر المحسوسة في اللحظة الراهنة مجرد التأمل الجمالي؛ لتغدو قنطرةً يقينيةً تعبر بالمتلقي من المشاهدة اليومية إلى الإيمان بالغيب المستتر مبرهنةً على أن القدرة المهيمنة على تفاصيل الحاضر، وتدبيره هي ذاتها القادرة على بعث الحياة في المستقبل.

3- **توظيف الزمن المستقبل (حجة الترهيب، واستحضار الغيب):** برزت في هذا السياق استراتيجيةٌ قرآنيةٌ فريدةٌ تختطف المستقبل من غياهب التأجيل؛ لتزلزل كيان الكافر الجاحد في حاضره، فمن خلال تقليص المسافات الزمنية، والانزياح اللغوي يتحول المستقبل الأخروي إلى واقعٍ مباغتٍ يسقط سلاح التسويف، ويجعل من اعتراف الإنسان الآتي حجةً استباقيةً تُلزمه بالتسليم الفوري.

4- **التناوب الزمني في مشاهد القيامة (الانزياح الحجاجي المزدوج):** يتضح من تفكيك هذه البنية الأسلوبية أن كسر الرتابة الزمنية تجاوز التلوين الجمالي؛ ليؤسس حصارًا إدراكيًّا محكمًا؛ إذ أثمرت المراوحة بين يقين الماضي، وحركية الحاضر عن تذويب المسافات الفاصلة بين الكافر، ومصيره؛ ليجد العقل نفسه مطوقًا بين حتميةٍ غيبيةٍ لا تُدفع، ومشهدٍ حيٍّ شاخصٍ لا يُرفع، وهو ما يسد عليه كل منافذ المراوغة، والإنكار.

5- **التداخل الزمني المادي (ذروة الحجاج الشامل):** تجلت ذروة الإعجاز الحجاجي في تحطيم المنهجية المادية، التي تقتطع اللحظة الحاضرة للحكم على الغيب؛ إذ يتأسس هذا التحطيم على دمج البداية، والنهاية في دليلٍ ماديٍّ واحدٍ، مما يثبت أن العقل البشري المبتور زمنيًّا يقف عاجزًا أمام الإحاطة الإلهية المطلقة؛ لتُغلق بذلك كل منافذ الجدال، ويتحول الزمن بأبعاده كافةً إلى شبكةٍ إدراكيةٍ محكمةٍ تقود طوعًا، أو كرهًا إلى الإذعان.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أولاً: المصادر:

1) ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). التحرير والتنوير (مج. 23). الدار التونسية للنشر.
2) السيوطي، جلال الدين. (د.ت). الإتقان في علوم القرآن (ج2) (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ثانيًا: المراجع:

1) السامرائي، فاضل صالح. (2003). معاني النحو (مج. 3، ط. 2،). شركة العاتك.
2) صـولة، عبد الله. (2001). الحجاج في القرآن الكريم: من خلال أهم خصـائصـه الأسـلوبية. كلية الآداب بجامعة منوبة.
3) عباس، فضل حسن. (2004). القصص القرآني: إيحاؤه ونفحاته (ط. 1). دار الفرقان.
4) عبد الكريم، بكري. (2000). الزمن في القرآن الكريم: دراسـة دلالية للأفعال الواردة فيه (ط. 1). دار الفجر للنشر والتوزيع.
5) النشار، علي سامي. (1984). مناهج البحث عند مفكري الإسلام (ط. 4). دار المعارف.